الوجيز في مقتل

الإمام الحسين عليه السلام

تأليف
حسين علي يعقوب بن يوسف بن أحمد
بن الشيخ يوسف بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله
(١٤٣٨-٢٠١٧هـ)

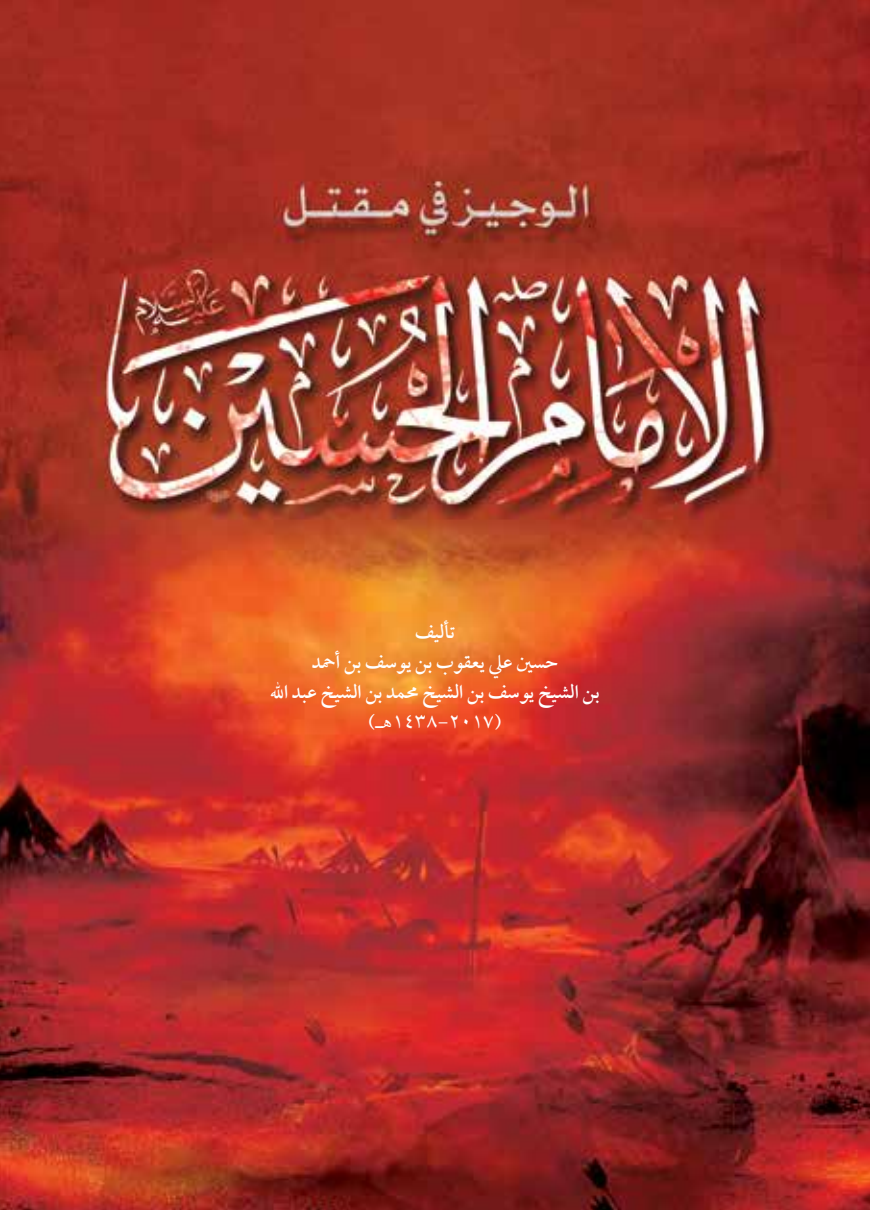

يهدى ثواب هذا العمل إلى روحي

المرحوم الحاج عيسى حسن علي حرم

والمرحومة الحاجة لمعة ملا سلمان بن حسن بن الشيخ

ا لفاتحة لروحيهما وأرواح المؤمنين والمؤمنات

الوجيز في مقتل

تأليف

حسين علي يعقوب بن يوسف بن أحمد
بن الشيخ يوسف بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله
(١٤٣٨-٢٠١٧هـ)

الطبعة الأولى

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين المنتجبين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وبعد: فقد كانت تراودني فكرة كتابة هذا الموجز من المقتل الحسيني منذ سنوات وخصوصا بعد انتهاء كل عشرة من المحرم، غير أن الشواغل الكثيرة كانت تحول بيني وبين القيام بهذا العمل.

وفي هذه المرة شملني الله تعالى بلطفه وتفضل عليّ بمنه، وسهل لي الطريق إلى تحقيق ما كنت أصبو إليه وأتمناه، من كتابة هذا الكراس المشتمل على مقتل سيد الشهداء روحي فداه.

والسبب الذي شجعني على ذلك هو أني كنت منذ التسعينيات قد بدأت - وفي اليوم العاشر من المحرم - أقرأ المقتل على طريقة خطباء العراق أي من خلال الكتاب على خلاف الكثير من خطباء البحرين.

غير أني كنت أعاني من هاجسين:

الأول: نتائج الخروج عن المألوف في الوسط البحراني.

الثاني: الإطالة في قراءة المقتل إلى الحد الذي يتسبب في فتور الأجواء وعدم التفاعل من قبل الجمهور.

وعلى الرغم من وجود هاذين الهاجسين قررت المضي في ذلك فإن حصل التوفيق فمن الله الهادي إلى سواء السبيل، وإن لم أوفق فمن نفسي.

ولكن كان عليّ أن أوفر أسباب النجاح ومقدماته وذلك من خلال ثلاثة عناصر مهمة:

الأول: اعتماد المقتل المحقق وكان ذلك من خلال كتاب (مقتل الحسين) للسيد عبد الرزاق المقرم ومقتل الشيخ الكعبي.

الثاني: الاختصار قدر المستطاع واستقطاع المفاصل الأهم من سيرة المقتل.

الثالث: استعمال المؤثرات بين تفاصيل المقتل من الأشعار المناسبة والمميزة.

وكان من الأسباب المشجعة على المضي في هذا المشروع:

١- لقيني أحد الأساتذة المحترمين من قرية النويدرات وهو الباحث والكاتب الأستاذ يوسف مدن، وقال لي: أنا من الناس الذين يواظبون على الحضور في مجلسك في اليوم العاشر من المحرم، وذلك لسبب بسيط، وهو أنك تقرأ المقتل بواسطة الكتاب مما يجعلني أعيش تفاصيل يوم العاشر كما هي لا كما نسمعه من الخطباء الآخرين الذي يركزون بشكل أساس على الأشعار التي تجعلك تعيش الأحداث من خلال خيالات الشاعر ومفرداته فقط.

٢- أن قراءة المقتل بهذه الكيفية تمكنك كخطيب من الإطلاع على مصادر المعلومات، فتجد نفسك ملزما بالبحث في أكثر من مقتل واختيار أصح ما يمكن أن يقرأ على الناس بعيدا عن الرتوش والمزايدات التي تبعدك عن الواقع الذي حدث كما هو.

فكم من مألوف ومشهور ألفته الأسماع وتحول إلى جزء من الحادثة وهو ليس منها، ولو بحثت لم تجد له أثرا إلا في بطون الدواوين الشعرية فقط.

أما فيما يتعلق بالهاجس الأول وهو الخروج عن المألوف، فإن كان ذلك لغرض اختيار الأحسن والأفضل فما الضير في ذلك، فكم أمر غير مألوف تحول بعد ذلك إلى أصل، وهجر الناس ما ألفوه واعتادوه.

وقد اعتمدت في كتابة هذا الكرّاس على مصدرين رئيسين كما ذكرت وهما (مقتل السيد المقرم) وهو من المقاتل التي تحظى على تقدير الكثير من الباحثين والمحققين) وكذلك (مقتل الشيخ الكعبي) وهو المقتل الذي لا يختلف اثنان على أصالته وبعده عن المزايدة والإسفاف.

أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يسهم في إيجاد مادة يستفيد منها خدمة منبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

يا أبا عبد الله لقد جئت ببضاعة مزجاة فتصدق عليّ بقبولي بين خدمتك المخلصين.

الفقير إلى ربه المنان
حسين علي يعقوب

(١)

السلام على المرمل بالدماء، السلام على المهتوك الخباء، السلام على خامس أهل العباء، السلام على غريب الغرباء، السلام على شهيد الشهداء، السلام على قتيل الأدعياء، السلام على ساكن كربلاء، السلام على من بكته ملائكة السماء.(٢)

١ زيارة عاشوراء
٢ زيارة الناحية المقدسة

لـو كان يـدري يوم عاشـوراء ماكان يجـري فيـه مـن بـلاء
مـا لاح فجـره ولا اسـتنارا ولا أضـاءت شمسـه نهـارا
سـوّد حزنـا أوجـه الأيـام وأوجـه الشـهور والأعـوام
الله مـا أعظمـه مـن يـوم أزال صـبري و أطـار نومـي
اليـوم أهـل آيـة التطهـير بـين صريـع فيـه أو عفـير
اليـوم قد مات الحفـاظ والوفا اليـوم كاد الديـن يقضي أسـفا
ويلي وهـل يجـدي حزينا ويل لأضلـع تدوسـهن الخيـل
وأرؤس عـلى الرمـاح ترفـع وجثـث عـلى الصعيـد توضع
وثـاكل تبـدو مـن الخـدور تعـج بالويـل وبالثبـور
ومرضـع ترنـو إلى رضيـع عـلى الـتراب فاحـص صريع
ونسـوة تسـبى عـلى النيـاق حسرى تعـاني ألم الفـراق[1]

اليوم أظلم نـادي العز من مضر اليوم صرف الردى أرسى بواديها
اليـوم قامـت بـه الزهـراء نادبـة اليـوم (آسـية) وافـت تواسـيها

١ أرجوز الشيخ كاشف الغطاء

منـا الوالـده يحسـين يبنـي يمـن ريـت ذباحـك ذبحنـي
اسـعدني عـلى ابنـي يالتحبنـي
منـا الوالـده والقلـب لهفـان وأدور عـزا بنـي ويـن ما چان
آه يبني الذي ذبحوه عطشـان ولعبـت عليـه الخيـل ميدان

لو أن حاضره جنت أنشر الشيب واقيـم العـزا واطـر للجيـب
وأبجـي عـلى فقـدك يلغريـب يدامـي النحـر يمعفـر الشـيب

عظم الله أجوركم أهل العزاء في مصاب سيدنا ومولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

(١) لما أصبح الحسين يوم عاشوراء صلى بأصحابه صلاة الصبح ثم قام خطيبا فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله تعالى أذن في قتلكم وقتلي في هذا اليوم فعليكم بالصبر والقتال.

ثـم صفهم للحـرب وكانوا اثنـين وثمانين فارسـا وراجلا، فجعـل زهـير بـن القـين عـلى الميمنـة، وحبيب بـن مظاهر عـلى الميـسرة، وثبـت هـو وأهـل بيتـه في القلـب وأعطـى رايتـه أخـاه العباس.

١ مقتل السيد المقرم

وأقبل عمر بن سعد نحو الحسين عليه السلام في ثلاثين ألفا، فجعل على الميمنة عمرو بن الحجاج الزبيدي وعلى الميسرة شمر بن ذي الجوشن العامري، وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسي، وعلى الرجالة شبث بن ربعي، والراية إلى مولاه ذويد.

وأقبلوا يجولون حول البيوت فيرون النار تضرم في الخندق فنادى شمر بأعلى صوته: يا حسين تعجلت بالنار قبل يوم القيامة!؟

فقال: الحسين من هذا ؟ كأنه شمر بن ذي الجوشن؟

قيل: نعم.

فقال: يا بن راعية المعزى أنت أولى بها مني صليا.

ورام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم، فمنعه الحسين عليه السلام وقال: أكره أن أبدأهم بقتال.

ولما نظر الحسين عليه السلام إلى جمعهم كأنه السيل، رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق،

ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك، رغبة مني عمن سواك، فكشفته وفرجته، فأنت ولي كل نعمة، ومنتهى كل رغبة.

ثم دعا براحلته فركبها ونادى بصوت عال يسمعه جلّهم:

أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم عليّ، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتموني النصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم عليّ سبيل، و إن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم، فأجمعوا أمركم وشركائكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة، ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون، إن وليي الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين.

فلما سمعن النساء هذا منه صحن وبكين وارتفعت أصواتهن، فأرسل إليهن أخاه العباس وابنه عليا الأكبر وقال لهما: سكتاهن فلعمري ليكثر بكاؤهن.

فلما سكتن حمد الله وأثنى عليه، وذكر النبي فصلى عليه، ثم قال: عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر، فإن الدنيا لو بقيت على أحد أو بقي عليها أحد لكانت

الأنبياء أحق بالبقاء وأولى بالرضا وأرضى بالقضاء، غير أن الله خلق الدنيا للفناء، فجديدها بال، ونعيمها مضمحل، وسرورها مكفهر، والمنزل تلعة، والدار قلعة، فتزودوا فإن خير الزاد التقوى، واتقوا الله لعلكم تفلحون.

أيها الناس إن الله تعالى خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالا بعد حال، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنته، فلا تغرنكم هذه الدنيا فإنها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، فنعم الرب ربنا، وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول محمد ﷺ، ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبا لكم ولما تريدون، إنا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعدا للقوم الظالمين.

أيها الناس انسبوني من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي، ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه، وابن عمه وأول المؤمنين بالله، والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه؟!

أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟! أوليس جعفر الطيار عمي؟! أولم يبلغكم قول رسول الله ﷺ لي ولأخي هذان سيدا شباب أهل الجنة؟!

فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق والله ما تعمدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ويضر به من اختلقه، وإن كذبتموني فيما أقول فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعيد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!

فقال الشمر: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول!

فقال له حبيب بن مظاهر: والله إني أراك تعبد الله على سبعين حرف وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول قد طبع الله على قلبك!

ثم قال الحسين عليه السلام: فإن كنتم في شك من هذا القول، أفتشكون أني ابن بنت نبيكم، فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته؟! أو مال استهلكته أو بقصاص جراحة؟!

فأخذوا لا يكلمونه.

فنادى: يا شبث بن ربعي ويا حجار بن أبجر ويا قيس بن الأشعث ويا زيد بن الحارث، ألم تكتبوا أن أقدم قد أينعت الثمار واخضر الجناب وإنما تقدم على جند لك مجندة؟!

فقالوا: لم نفعل.

قال: سبحان الله بلى والله لقد فعلتم.

ثم قال: أيها الناس إذا كرهتموني فدعوني أنصرف إلى مأمن من الأرض.

فقال له قيس بن الأشعث: أولا تنزل على حكم بني عمك؟ فإنهم لن يروك إلا ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه.

فقال له الحسين عليه السلام: أنت أخو أخيك؟ أتريد أن يطلبك بنو هاشم أكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد، عباد الله إني عذت بربي وربكم أن ترجمون، أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

..... ثم إن الحسين عليه السلام ركب فرسه وأخذ مصحفا ونشره على رأسه ووقف بإزاء القوم وقال: يا قوم بيني وبينكم كتاب الله وسنة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم استشهدهم على نفسه المقدسة وما عليه من سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولامته وعمامته، فأجابوه بالتصديق، فسألهم عما أقدمهم على قتله فقالوا: طاعة للأمير عبيد الله بن زياد.

فقال عليه السلام: تبا لكم أيها الجماعة وترحا أحين استصرختمونا والهين، فأصرخناكم موجفين سللتم علينا سيفا لنا في أيمانكم، وحششتم علينا نارا اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم إلبا لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلا لكم الويلات ! تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبا، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش ثم نقضتموها، فسحقا لكم يا عبيد الأمة، وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب، ومحرفي الكلم وعصبة الإثم، ونفثة الشيطان ومطفئي السنن، ويحكم أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون ! أجل والله غدر فيكم قديم وشجت عليه أصولكم وتأزرت فروعكم فكنتم أخبث ثمرة، شجى للناظر وأكلة للغاصب.

ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبيّة، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلّة العدد، وخذلان الناصر، ثم أنشد يقول:

فإن نهزم فهزامون قدما وإن نهزم فغير مهزمينا
وما إن طبّنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

ولا زال الحسين يذكرهم بما هو حق لهم عليه ولكن

قست القلوب فلم تمل لهداية تبا لهاتيك القلوب القاسية

عندها تقدم عمر بن سعد نحو معسكر الحسين عليه السلام ورمى بسهم وقال: اشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمى، ثم رمى الناس فلم يبقى من أصحاب الحسين عليه السلام أحد إلا وأصابه من سهامهم.

فقال الحسين عليه السلام لأصحابه: قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لابد منه، فإن هذه السهام رسل القوم إليكم، فحمل

أصحابه حملة واحدة واقتتلوا ساعة فما انجلت الغبرة إلا عن خمسين صريعا.

ولما نظر أصحاب الحسين عليه السلام إلى كثرة من قتل منهم أخذ الرجلان والثلاثة والأربعة يستأذنون الحسين عليه السلام في الذب عنه والدفع عن حرمه وكل يحمي الآخر حتى تفانوا جميعا.

فلهفي لمولاي الحسين وقد غدا فريدا وحيدا في وطيس الملاحم
يرى قومه صرعى وينظر نسوة تجلببن جلباب البكا والمآتم
هناك انتضى عضبا من الحزم قاطعا وتلك خطوب لم تدع حزم حازم

يقول المقرّم: ونظر إلى أهله وصحبه مجزرين كالأضاحي وهو إذ ذاك يسمع عويل اليتامى وصراخ الأطفال، فصاح بأعلى صوته: هل من ذاب عن حرم رسول الله، هل من موحد يخاف الله فينا، هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا، فارتفعت أصوات النساء بالبكاء.

ونهض السجاد عليه السلام يتوكأ على عصا ويجر سيفه لأنه مريض لا يستطيع الحركة فصاح الحسين بأم كلثوم: احبسيه لئلا تخلو الأرض من نسل آل محمد، فأرجعته إلى فراشه.

قال في معالي السبطين: لما رأى الحسين عليه السلام مصارع فتيانه

وأحبته ونظر إلى إثنين وسبعين من أصحابه وثمانية عشر من أهل بيته صرعى على وجه الأرض، عزم على لقاء القوم بمهجته، فجعل ينادي: هل من راحم يرحم آل رسول الله، هل من ناصر ينصرنا.

ثم التفت إلى الخيام فنادى: يا سكينة يا فاطمة يا زينب يا أم كلثوم عليكن مني السلام فهذا آخر الاجتماع وقد قرب منكن الافتجاع.

فعلت أصواتهن بالبكاء وصحن: الوداع الوداع الفراق الفراق، وقد أحطن به من كل جانب هذه تقبل رأسه وتلك تقبل وجهه وأخرى تقبل يديه ورجليه وتقول إلى أين يا حمانا؟ إلى أين يا رجانا؟[1]

رد وعياله من العطش يومن وصاح حسين للتوديع قومن
مثل سرب القطا گامن يحومن تطيح عليه وحدتهن وتعثر
يزينب صاح قومن وديعنّي هذا اليوم تالي أوداع مني
بعد ساعه الودايع يفكدني أويشوفني على الغبره مخدّم
لفن يتصارخن كل النساوين ودارن بيه دور الجفن بالعين
يودعنه وغدا يودعهن حسين أولفراكه تسيل عيونهن دم

١ معالي السبطين

فـرن حـواسر والأزر بالحـال طاحـت والكل على حسين اشبحت والروح راحت
وتجلـدت زينـب على الشـده وصاحت بعـدك يخويـه هالحرايـر تلتجـي ويـن

قال لها: التزمي الصبر يا نور عيني

قالـت صبر مالي يبعد أهـلي على فراقاك للمـوت خـذني يا عديـل الـروح وياك
بالـبر تضيعنـا وللشـده ذخرنـاك وقبلت نحره وصاحت الله وياك يحسين

ثم إنه أمر عياله بالسكوت وودعهم وكانت عليه جبة خز دكناء وعمامة موردة أرخى لها ذؤابتين والتحف ببردة رسول الله ﷺ وتقلد سيفه، وطلب ثوبا لا يرغب فيه يضعه تحت ثيابه لئلا يجرد منه، فإنه مقتول مسلوب، فأتوه بتبان فلم يرغب فيه لأنه من لباس الذلة، وأخذ ثوبا خلقا وخرّقه وجعله تحت ثيابه.

ثم نادى بأخته زينب:

أخت يا زينب أوصيك وصايا فاسمعي إننـي في هـذه الأرض مـلاق مصرعـي
فاصـبري فالصـبر من خيم كـرام المترع كل حـي سـينحيه عـن الأحيـاء حـين
واجمعي شـمل الأيامى بعد فقدي وانظمي واشبعي من جاع منهم ثم اروي من ضمي
واذكـري أني في حفظهـم طـل دمـي إننـي من بينهـم كالأنف بـين الحاجبين
في جليل الخطب يا أخت اصبري الصبر الجميل إن خير الصبر ما كان على الخطب الجليل
واتركي اللطم على الخد و إعلان العويل ثـم لا أكره سـقي العـين ورد الوجنتين

أخت آتيني بطفلي أره قبل الفراق ... فأتت بالطفل لا يهدأ والدمع مراق
يتلظى ظمأ والقلب منه في احتراق ... غائر العينين طاوي البطن ذاوي الشفتين
فبكى لما رآه يتلظى بأوام ... بدموع هاميات تخجل السحب السجام
فنحى القوم في كفيه ذياك الغلام ... وهما من ظمأ قلباهما كالجمرتين
فدعا في القوم يا لله للخطب الفضيع ... نبؤوني أأنا المذنب أم هذا الرضيع
لاحظوه فعليه شبه الهادي الشفيع ... لا يكن شافعكم خصما لكم في النشأتين
عجلوا نحوي بماء أسقه هذا الغلام ... فحشاه من أوام في اضطرام وكلام
فاكتفى القوم عن القول بتكليم السهام ... وإذا بالطفل قد خرّ صريعا لليدين
فالتقى من ما هما من منحر الطفل دما ... ورماه صاعدا يشكو إلى رب السماء
وينادي يا حكيم أنت خير الحكماء ... فجع القوم بقتل الطفل قلب الوالدين[1]

أعظم الله أجوركم أهل العزاء، فوضع الحسين عليه السلام يده وتلقى بها دم طفله و رماه نحو السماء.

قال إمامنا الباقر عليه السلام: فلم تسقط منه قطره، ويقول فيه مولانا صاحب الزمان: السلام على عبد الله الرضيع المرمي الصريع المتشحط دما، والمصعد بدمه إلى السماء، المذبوح بالسهم في حجر أبيه، لعن الله راميه حرملة بن كاهل الأسدي وذويه.

١ الشيخ حسن الدمستاني

تلقى حسين دم الطفل بيده شحال اليجتل بحظنه وليديه
سال وترس جفه من وريده وذبه للسما وللقاع ما خر

ثم قال الحسين عليه السلام: هون ما نزل بي أنه بعين الله تعالى، اللهم لا يكن أهون عليك من فصيل ناقة صالح، إلهي إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه وانتقم لنا من الظالمين.

فسمع هاتفا يقول: دعه يا حسين فإن له مرضعا في الجنة.

ولما أراد الحسين عليه السلام أن يتقدم للقتال نظر يمينا وشمالا ونادى ألا هل من يقدم لي جوادي؟

فلما سمعت زينب عليها السلام خرجت إليه وهي آخذت بعنان الجواد، وتقول أي أخت تقدم لأخيها جواد المنية؟! إلى أن وصلت إلى الحسين عليه السلام ونادت: لمن تنادي وقد أقرحت فؤادي.

من ذا يقدم لي الجواد ولامتي والصحب صرعى والنصير قليل
فأتته زينب بالجواد تقوده والدمع من ألم الفراق يسيل
وتقول قد قطعت قلبي يا أخي حزنا فياليت الجبال تزول
ولمن تنادي والحماة على الثرى صرعى ومنهم لا يبل غليل

ما في الخيام وقد تفانى أهلها إلا نساء ولّه وعليل
أرأيت أختا قدمت لشقيقها فرس المنون ولا حمى وكفيل

يجري دموعه فوق خدينه وينادي ماحد بقي من عزوتي يسرج جوادي
جت الوديعه تصيح يا مهجة الهادي أنا الذي أسرج جوادك يبن الاطهار
سرجت جواده وجابته تقوده الزجيه وتقول مافي الحرم مثلي يا شفيه
وحده لخوها أتقدم جواد المنيه قلها وسمعتي أحد مثلي ظل محتار
اسمعتين واحد مثل خيك ظل حاير راحت ارجاله وانفرد من غير ناصر
يمنى ويسرى محلقه حوله العساكر لكن إلى الله الأمر يعزيزة الكرار

انحنت فوقه تحب نحره وصدره وتندب صارخه والعين عبره
هاذي انيابتي عنك يزهره يوسفه يروح والينا المذخور[1]

وتقدم الحسين عليه السلام نحو القوم مصلتا سيفه آيسا من الحياة، ودعا الناس إلى البراز فلم يزل كل من يبرز إليه قتله، حتى قتل جمعا كثيرا، ثم حمل على الميمنة وهو يقول:

الموت أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار

١ مقتل الشيخ الكعبي

وحمل على الميسرة وهو يقول:

أنـا الحسـين بـن عـلي آليـت أن لا أنثنـي
أحمـي عيـالات أبي أمـضي عـلى ديـن النبـي

تمـوج الخيـل مـن يجبـل عليها لجـن الخيل أبـو الحسـنين بيها
يـذب هـذا ورا وهـذا لديهـا مسـاميها وسـيفه يلحـق لفـر

يقول عبد الله بن عمار بن يغوث: ما رأيت مكثورا قط، قد قتل ولده وأهل بيته وصحبه أربط جأشا ولا أمضى جنانا ولا أجرأ مقدما، ولقد كانت الرجال تنكشف من يديه إذا شدّ فيها ولم يثبت له أحد.

فصاح عمر بن سعد بالجمع: هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتّال العرب احملوا عليه من كل جانب، فأتته أربعة آلاف نبلة، وحال الرجال بينه وبين رحله فصاح فيهم: يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحرارا في دنياكم وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عربا كما تزعمون.

فناداه شمر: ما تقول يا ابن فاطمة؟

قال: أنا الذي أقاتلكم والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا عتاتكم عن التعرّض لحرمي ما دمت حيا.

قال اقصدوني بنفسي واتركوا حرمي قد حان حيني وقد لاحت لوائحه

فقال الشمر: لك ذلك.

وقصده القوم واشتد القتال وقد اشتد به العطش فحمل نحو الفرات على عمرو بن الحجاج الزبيدي وكان في أربعة ألاف فارس، فكشفهم عن الماء وأقحم الفرس الماء فلما همّ الفرس ليشرب قال الحسين عليه السلام أنت عطشان وأنا عطشان فلا أشرب حتى تشرب!

فرفع الفرس رأسه كأنه فهم الكلام، ولما مدّ الحسين يده ليشرب ناداه رجل: أتلتذ بالماء وقد هتكت حرمك؟

فرمى الماء من يده ولم يشرب وقصد الخيام فرآها سالمة.

ثم ودع عياله ثانية وأمرهم بالصبر وقال: استعدوا للبلاء، واعلموا أن الله تعالى حاميكم وحافظكم، وسينجيكم من كيد الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب عدوكم بأنواع العذاب، ويعوّضكم من هذه البليّه بأنواع النعم والكرامة فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص قدركم.

والتفت الحسين إلى ابنته سكينة فرآها منحازة عن النساء باكية نادبة فوقف عليها مصبرا مسليّا.

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي منك البكاء إذا الحمام دهاني
لا تفجعي قلبي بنوحك حسرة ما دام مني الروح في جثماني
فإذا قتلت فأنت أولى بالذي تأتينه يا خيرة النسوان

نادت:

يبويه قول لا تخفي عليه هذي روحتك لو بعد جيّه
يبويه ان چان رايح هاي هيّه اخذني وياك عنك مقدر اصبر
أريد ابجي وازيد اليوم همي ما طولك يبويه حسين يمي
يبويه يلجره حبك بدمي صعب والله افراك اليحبونه
يسكنه لا تونين بوجودي كسرتي القلب من عندي دهودي
عقب عيني علّي بالنوح جودي أو على وني ونين اللي تيّم[1]

١ مقتل الشيخ الكعبي

وبينما هو مشغول بوادع حرمه، نادى عمر بن سعد: ويحكم اهجموا عليه ما دام مشغولا بنفسه وحرمه، والله إن فرغ لكم لا تمتاز ميمنتكم عن ميسرتكم.

فحملوا عليه يرمونه بالسهام حتى تخالفت السهام بين الأطناب، وشك بعضها أزر النساء، فدهشن وأرعبن وصحن ودخلن الخيمة ينظرن إلى الحسين كيف يصنع.

فحمل عليهم كالليث الغضبان، فلا يلحق أحدا إلا بعجه بسيفه فقتله، والسهام تأخذه من كل ناحية وهو يتقيها بصدره ونحره.

ورجع إلى مركزه وهو يكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وطلب الماء في هذا الحال.

فقال له شمر: لا تذوقه حتى ترد النار !!!

وناداه رجل: يا حسين ألا ترى ماء الفرات كأنه بطون الحيات؟ فلا تشرب منه حتى تموت عطشا.

فقال الحسين اللهم أمتّه عطشا.

فكان ذلك الرجل يطلب الماء فيؤتى به فيشرب حتى يخرج من فيه، ومازال كذلك إلى أن مات عطشا.

عظم الله أجوركم أهل العزاء بينما كان الحسين عليه السلام واقفا وقد أخذه التعب إذ رماه أبو الحتوف الجعفي بسهم في جبهته فنزعه، فسالت الدماء على وجهه.

فقال: اللهم إنك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة، اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا، ولا تذر على وجه الأرض منهم أحدا، ولا تغفر لهم أبدا.

وصاح بصوت عال: يا أمة السوء بئسما خلفتم محمدا في عترته، أما إنكم لا تقتلون رجلا بعدي فتهابون قلته، بل يهون عليكم ذلك عند قتلكم إياي، وأيم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بالشهادة، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون.

فقال الحصين: وبماذا ينتقم لك يا ابن فاطمة؟

قال: يلقي بأسكم بينكم، ويسفك دمائكم، ثم يصب عليكم العذاب صبّا.

بينما هو كذلك إذ رماه رجل بحجر أصاب جبهته، فسال الدم على وجهه، فرفع الثوب ليمسح الدم عن عينيه، فرماه آخر بسهم محدد له ثلاث شعب فوقع على قلبه: ألا من منادي واحسيناه وسيداه.

فقال بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ورفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي إنك تعلم أنهم يقتلون رجلا ليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيري!!

ثم أخرج السهم من قفاه، وانبعث الدم كالميزاب، فوضع يده تحت الجرح فلما امتلأت رمى به نحو السماء، وقال: لقد هوّن ما نزل بي أنه بعين الله، فلم تسقط من ذلك الدم قطرة!!

ثم وضعها ثانية فلما امتلئت لطخ به رأسه ووجهه ولحيته وقال: هكذا أكون حتى ألقى الله وجدي رسول الله ﷺ وأنا مخضب بدمي، وأقول يا جد قتلني فلان وفلان.

وأعياه نزف الدم، فجلس على الأرض ينوء برقبته، فانتهى إليه في هذه الحال مالك بن النسر فشتمه، ثم ضربه بالسيف على رأسه، وكان عليه برنس فامتلأ البرنس دما.

فقال الحسين عليه السلام: لا أكلت بيمنك ولا شربت بها وحشرك الله مع الظالمين.

وبقي الحسين عليه السلام مطروحا على الأرض ولو شاؤوا أن يقتلوه لفعلوا إلا أن كل قبيلة تتكل على الأخرى وتكره الإقدام.

فصاح شمر بن ذي الجوشن: ما وقوفكم وما تنتظرون بالرجل؟ وقد أثخنته السهام والرماح احملوا عليه.

فضربه زرعة بن شريك على كتفه الأيسر، ورماه الحصين في حلقه، وضربه آخر على عاتقه، وطعنه سنان بن أنس في ترقوته، ثم في بواني صدره، ثم رماه بسهم في منحره أين المنادي واحسيناه واسيداه.

وأقبل الفرس يلطخ ناصيته بدمه ويدور حوله.

فصاح عمر بن سعد: دونكم الفرس فإنه من جياد خيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فأحاطت به الخيل فجعل يرمح برجليه، حتى قتل أربعين رجلا وعشرة أفراس.

فقال ابن سعد: دعوه لننظر ما يصنع، فلما أمن الطلب أقبل نحو الحسين يمرغ ناصيته بدمه ويصهل صهيلا عاليا.

قال الباقر عليه السلام: كان يقول الظليمة الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها.

وتوجه نحو الخيام.

يقول مولانا صاب الزمان عجل الله فرجه الشريف في زيارة الناحية:

فلما نظرن النساء إلى الجواد مخزيّا، والسرج عليه ملوّيا، خرجن من الخدور، على الخدود لاطمات، وبالعويل داعيات، وبعد العز مذللات وإلى مصرع الحسين مبادرات.

فواحدة تحنو عليه تشمه وأخرى عليه بالرداء تظلل
وأخرى بفيض النحر تصبغ وجهها وأخرى تفديه وأخرى تقبل
وأخرى على خوف تلوذ بجنبه وأخرى لما قد نالها ليس تعقل

ونادت أم كلثوم وامحمداه وأبتاه واعلياه واجعفراه وحمزتاه هذا حسين بالعراء صريع بكربلاء.

ثم نادت ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدت على السهل، ثم دنت نحو الحسين وقد دنا منه

عمر بن سعد في جملة من أصحابه، والحسين يجود بنفسه، فقالت: أيّ عمر أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟!! فصرف بوجهه عنها ودموعه تسيل على لحيته.

فقالت: ويحكم أما فيكم مسلم، فلم يجبها أحد.

فصاح عمر بن سعد بالناس: انزلوا إليه وأريحوه، فبدر إليه شمر بن ذي الجوشن، فرفسه برجله وتربع على صدره، وقبض على شيبته المقدسة، وضربه بالسيف اثنتي عشرة ضربة.

تگلـه يـا شـمر لا تذبح حسـين عزيـز المصطفى وعز النسـاوين
وبـدر سـعودنا ونـور الأراضين يعم النـاس بعده الكفـر والجور
يخايـب كـوم عـن صـدر المطهر تـره الدنيـه اظلمـت والجو مغبر
وكـت ذبحه سـماها يمطـر أحمر مهـو ريحانـة الهـادي المـبرور
دخـلي حسـين لتيتـم أطفالـه شريـده كل هـلي اذبحنـي بدالـه
كل أرواحنـا فـدوه لجمالـه حسـافه الباز يغدي فريسة اطيور

يا شـمر شيل السيف عن باقي ارجالي مـن عقب عين حسـين مـالي عين والي
واضيعتـي من بعـده واضيعـة أطفالي غير العليل ابهـا الخيم ما ظلت ارجال
هـذا يشـيعه والشـمر مولـغ بسـيفه في منحـر ابـن المصطفى نسـل العفيفه
والكـون مغـبر والوطيـه في رجيفـه كادت بهلهـا تنقلـب وتسـيخ لجبـال
عزل راسـه من الجسد والكون ضج بزلزله وشـاله بعالي قناتـه ومـاج وادي كربلا
وكعبـة الأحـزان فرت باليتامـى معوله تصيح ركني يا مصـوني هاليتامى هدته

فتك العصفور بالصقر فيا للعجب قتل الشمر حسينا غيرة الله اغضبي
حيـدر آجـرك الله بعـالي الرتـب أدرك الأعداء فينـا ثار بدر وحنين

واحسينا واحسينا واحسينا واحسين

المصادر المعتمدة:

١- مقتل الحسين للسيد عبد الرزاق المقرم

٢- مقتل الشيخ عبد الزهراء الكعبي

٣- معالي السبطين

٤- مجمع مصائب الهنداوي

٥- زيارة الناحية

٦- شعلة الأحزان لابن سليم

الحسين
عبد الله
صلى الله عليك يا أبا